

أهمية النصيحة في ضوء الكتاب والسنة

(*) الدكتور / عدنان بن عبد الرزاق الحموي العُلي

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على الناصح الأمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وتابعيه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الحديث عن النصيحة هو الحديث عن الدين، حيث أعلن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: (الدين النصيحة). كما جاء في مباحثه لبعض أصحابه على النصيح لكل مسلم. وتتجلى مكانة النصيحة من خلال آثارها الاجتماعية والتربوية والتعليمية، والتي تنعكس إيجاباً على الفرد والمجتمع، مما يشير إلى أهميتها كواجب شرعي، وأمر أخلاقي، وركن تربوي، وربما أهمل هذا الجانب الهام في المجتمع، فظهرت سلبيات في الأمة، ما كان لها أن تطفو على الساحة لولا غياب مبدأ النصيحة. لذا كان البحث فيها من الأهمية بمكان، وهي من المواضيع الحاضرة الغائبة، والتي ينبغي التنبيه إليها بين الفينة والأخرى، لما لها من خصوصية واعتبار. وقد جاء البحث بعنوان: "أهمية النصيحة في ضوء الكتاب والسنة" تمثلت خطته في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث رئيسة، تفرعت إلى مطالب منتظمة، استوعبت محاور البحث وفروعه وأفكاره، ثم خاتمة. حيث استعرضت في المقدمة نبذة عن الموضوع، والباعث على اختياره، والدافع إليه، ثم مهّدت للموضوع باستعراض معنى النصيحة لغة، واصطلاحاً، والألفاظ ذات الصلة، والحكم التكليفي لها، والأدلة الشرعية على النصيحة من الكتاب والسنة، ثم تلاه المبحث الأول فحددت فيه ضوابط النصيحة وشروطها، ووسائلها وأساليبها، وآثارها وثمارها. وتبعه المبحث الثاني فتقصّيت فيه آداب النصيحة؛ مبيّناً الأمور التي تجب مراعاتها في الناصح، والمنصوح، والنصيحة، ومتمثلاً منهج الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم في النصيحة، وإسقاطاً للبحث على الواقع فقد

* (أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك قسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة والدراسات

حدّدت في المبحث الثالث شرائح مستهدفة في مجالات النصيحة، مبيّناً المسؤولية الشرعية في توجيههم للنصيحة، ومدى تحملهم لها، من خلال شرح تحليلي لحديث تميم بن أوس الداري رضى الله عنه في النصيحة. ثم ختمت البحث بثلة من النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة. وقد توخّيت في البحث الموضوعية وتجرد، وسلكت فيه المنهج العلمي، فوثّقت النقول من مظانّها المعتمدة أصولاً، متجنباً الإطناب الممل، والإيجاز المخجل. وختاماً أرجو من الله القبول والإخلاص، وتمام السداد والرشاد، وبالله التوفيق.

Kur'an ve Sünnet Işığında Nasihat(Öğüt)ın Önemi

Öz

Bu çalışma nasihat (öğüt) konusunu ele almaktadır. Nasihata Kur'an perspektifinden bakmayı amaçlamaktadır. Kur'an'da nasihatle ilgili ayetler ışığında konu ele alınmakta ve gerek klasik ve gerekse çağdaş yorumlara yer verilmiş, böylece nasihatın dindeki yeri ve önemi ortaya konarak insanın ona olan ihtiyacına vurgu yapılmıştır.

Anahtar Kelimeler: Kur'an, nasihat, din, İslam, hak, günah, sevab.

The Importance of Advice on the Sign of Quran and Al-Sunnah

Abstract

Talking about advice is to talk about religion; On an occasion when some of his companions paid their allegiance to him to advise all Muslims, the Prophet (pbuh) remarked that "religion is (good) advice. The significance of (good) advice is clearly depicted through its social and educational impact which reflects positively on the individual and society; this further suggests its religious, moral and educational significance. It seems that this important aspect of the society has long been neglected resulting in the rise of deplorable tendencies – which wouldn't have surfaced – in the Muslim ummah had the duty of advice and counseling been intact. It is perhaps for this reason that this research acquires importance; moreover it is a topic which is fleetingly present and requires continuous reminding every now and then.

Keywords: Quran, Al-Sunnah, Islam, advice, religion, right, sign, reward.

مخطط البحث

المقدمة: وتبحث في أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والباعث عليه، والمنهج العلمي فيه.
التمهيد: ويتناول معنى النصيحة لغة، واصطلاحاً، والألفاظ ذات الصلة، والحكم التكليفي، والأدلة الشرعية عليها

المبحث الأول: ويحدد ضوابط النصيحة وشروطها ووسائلها وأساليبها وآثارها وثمارها. وذلك في المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: ضوابط النصيحة وشروطها.

المطلب الثاني: وسائل النصيحة وأساليبها.

المطلب الثالث: آثار النصيحة وثمارها.

المبحث الثاني: ويتقضى آداب النصيحة؛ وذلك من خلال المطالب الأربعة التالية:

المطلب الأول: الأمور التي تجب مراعاتها في الناصح.

المطلب الثاني: الأمور التي تجب مراعاتها في المنصوح.

المطلب الثالث: الأمور التي تجب مراعاتها في النصيحة.

المطلب الرابع: منهج الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم في النصيحة.

المبحث الثالث: ويتقضى مقاصد مستهدفة في مجالات النصيحة، تناولها حديث تميم بن أوس

الداري رضى الله عنه وقد أفردتها تحليلاً، ضمن المطالب الخمسة التالية:

المطلب الأول: معنى النصيحة لله تعالى.

المطلب الثاني: معنى النصيحة لكتاب الله تعالى.

المطلب الثالث: معنى النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع: المسؤولية الشرعية لدى ولاية الأمور في توجيههم للنصيحة، ومدى تحمُّلهم لها.

المطلب الخامس: المسؤولية الشرعية لدى العامة في توجيههم للنصيحة، ومدى تحمُّلهم لها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة.

المقدمة: أهمية الموضوع، والباحث على اختياره، والمنهج العلمي فيه:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على الناصح الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد سيّد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه وتابعيه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

أهمية الموضوع: إن الحديث عن النصيحة إنما هو الحديث عن الدين، إذ هي أصل أصيل من أصوله، وركن أساس في هديه، وقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ فعن تميم بن أوس الداري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة)⁽¹⁾. كما جاء في مبايعته صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه على النصح لكل مسلم⁽²⁾.

والنصيحة أساس بناء الأمة، والسياج الواقفي لها من هدف الشيطان في التحريش بين المؤمنين. فعن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم)⁽³⁾.

هذا التحريش الذي رضي به الشيطان، بعد أن آيس من عبادته، هو الهدف الموصل إلى الخصام والتنازع، والتفرق بين أبناء الملة الواحدة، لهذا كان للنصيحة الشأن العظيم في حياة الأمة؛ جماعات وفردى. وتتجلى مكانة النصيحة من خلال آثارها الاجتماعية والتربوية والتعليمية، والتي

(1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث: 55.

(2) في إشارة إلى حديث جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، والنصح لكل مسلم). صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لبادٍ بغير أجر؟ وهل يعينه أو ينصحه؟، رقم الحديث: 2157، واللفظ له، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث: 56.

(3) صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً، رقم الحديث: 2812.

تنعكس إيجاباً على الفرد والمجتمع، مما يشير إلى أهميتها كواجب شرعي، وأمر أخلاقي، وركن تربوي، وربما أهمل هذا الجانب الهام في المجتمع، فظهرت سلبيات في الأمة، ما كان لها أن تطفو على الساحة، ومبدأ النصيحة حاضر قائم فاعل نشط في تأثيره بين أفراد المجتمع.

لذا كان البحث في النصيحة من الأهمية بمكان، وهي من المواضيع الخطيرة الهامة، الحاضرة الغائبة، والتي ينبغي التنبيه إليها بين الفينة والأخرى، لما لها من خصوصية واعتبار.

الباعث على اختيار الموضوع: تعيش الأمة اليوم واقعاً اجتماعياً متقهقراً لا تحسد عليه، طغت فيه الأنانية المادية، على الروحانيات الجاذبة، وعَلَّتْ فيه مظاهر حب الشهوات المختلفة، على القيم الفاضلة، وغدا المسلم يحيا لتحقيق ملذات نفسه، وشهواته ونزواته، بأنانية واستكبار، بعد أن كان يعيش لأتمته، مهتماً بقضيتها، ساعياً لهدف أسمى في حياته، ناشداً غاية مثلى في وجوده، فكان للنصيحة في واقعه قيمة وتقدير، أما والحال قد تبدل ضعفاً وانحساراً، واختلفت النظرة فيه نحو القيم والمبادئ والاعتبارات، فغدت النصيحة شبه منسيّة. وكان الناس فيما مضى يستمعون لكلمة النصح والوعظ والإرشاد، وقيمون لها الوزن والتقدير والاعتبار؛ اهتماماً وتأثراً وتطبيقاً، إلا أن حاضر الأيام بمادته القاسية، ومظاهره الجافة المملّة، بدت النصيحة فيه غريبة مُرّة، وكأنها صيحة في واد غير ذي زرع، لا ترى فيه عوجاً ولا أفئاً. مما يُحْمَلُ أهل العلم والذكر المسؤولية في التنبيه والتذكير بهذا الواجب الديني، عملاً بقوله تعالى: **فَدَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ [الغاشية: 21-22]**.

المنهج العلمي فيه: لقد توخّيت الالتزام في إعداد البحث بالقواعد العامة المتعارف عليها في أصول المنهج العلمي؛ من حيث اعتماد المصادر الموثوقة في مراجع البحث، وتوثيق النقل من مظانّه المعتمدة أصولاً، وتوثيق الآيات الكريمة، وتخريج الأحاديث الشريفة، والحكم على غير الصحيح منها، وتوثيق الأشعار، وتسلسل المطالب، وتناول المحاور تحليلاً وتفنيداً بموضوعية وحياد، مع الدقة في العرض، والتركيّز في التعبير، بعيداً عن الإطناب المملّ، أو الإيجاز المخلّ. والله من وراء القصد.

التمهيد: ويتناول معنى النصيحة: لغة، واصطلاحاً، والألفاظ ذات الصلة، وحكمها التكليفي، والأدلة الشرعية عليها.

النصيحة لغة: يراد بالنصح أحد معنيين؛ الإخلاص، أو الإحكام. يقال: نصح الشيء: أي خلص، والناصح: الخالص من العسل، والنصح: تحرّي فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، وهو نقيض

الغش، ويقال: نصحت له الودء: أي: أخلصت وصدقت. ومنه: الإصلاح والنماء والارتواء، يقال: نصح الغيث البلاد نصحاً إذا اتصل نبتها، فلم يكن فيه فضاء ولا خلل، وأنصح الإبل: أي أرواها، ونصحتُ الجلد خطئته، والناصح: الخياط، والنَّصاح: الخيط⁽¹⁾.

النصيحة اصطلاحاً: النصح: إخلاص الرأي من الغش للمنصوح، وإخلاص العمل عن شوائب الفساد، والنصيحة: هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد⁽²⁾.

والنصيحة كلمة جامعة، يعبر بها عن جملة معناها: إرادة الخير والحظ للمنصوح له. وهي من وجيز الأسماء، ومختصر الكلام، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها. وكل شيء خلص فهو نصح. عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: سئل عمر رضى الله عنه عن التوبة النصوح، فقال: (أن يذنب العبد ثم يتوب، فلا يعود فيه)⁽³⁾. وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: التوبة النصوح تكفر كل سيئة، وهو في القرآن، ثم قرأ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ... الآية. [التحريم: 8]⁽⁴⁾. ونصوح على وزن فَعُول؛ من أبنية المبالغة، يقع على الذكر والأنثى، فكأن الإنسان بالغ في نصح نفسه بها⁽⁵⁾.

الألفاظ ذات الصلة:

(1) لسان العرب، ابن منظور: 268/14، ومختار الصحاح، الرازي: ص: 662، ومفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني: ص: 514.

(2) التعريفات، الجرجاني: ص: 309.

(3) صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرک: الحاكم، كتاب التفسير، ص: 495.

(4) صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرک: الحاكم، كتاب التفسير، ص: 495.

(5) شرح النووي على صحيح مسلم: 37/2، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: 52/5، والكيليات، الكفوي: ص: 887، و908، ومعالم السنن، الخطابي: 247/7.

أولاً: **الوعظ**: هو الزجر المقترن بالتحذير، والتذكير بالخير فيما يرقُّ له القلب. والوعظة والموعظة الاسم، قال تعالى: **يَعْظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** [النحل: 90]. وقال عزَّ وجلَّ: **فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَاهُمْ** [النساء: 63]. وقال سبحانه: **وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** [هود: 120]⁽¹⁾. واشتهرت نصيحة لقمان الحكيم لابنه في القرآن الكريم بموعظة لقمان، فقد استفتحت بقوله تعالى: **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** [لقمان: 13]. ومن معاني الوعظ ما تضمَّنه ردُّ قوم عاد على نصيحة أخيهم هود لهم في قوله تعالى: **قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ** [الشعراء: 136].

ثانياً: **الفلاح**: وهو الفوز والنجاة، والبقاء في الخير، والظفر، وإدراك البغية، وليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه، والفلاح أيضاً: الشق والفتح، ومنه قيل: الحديد بالحديد يفلح.

وهو ضريان: دنيوي وأخروي، فالأول: هو الظفر بما تطيب به الحياة الدنيا، والثاني: ما يفوز به المرء في الدار الآخرة، وهو بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزٌّ بلا دُلٌّ، وعلم بلا جهل⁽²⁾.

ثالثاً: **الغشُّ**: نقيض النصح، وهو اسم من العَشِّ، يقال: غشه غشاً لم ينصحه، وزين له غير المصلحة، أو لم يُمَحِّضْهُ النصح، أو أظهر له خلاف ما أضمره، أو هو الغل والحدق⁽³⁾. ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي. والصلة بين النصيحة والغش التضاد.

رابعاً: **الخدعية**: وهي في اللغة: اسم من الخدع، يقال: خدعه خدعاً: أراد به المكره، وختله من حيث لا يعلم، مثل: اختدعه فانخدع. والحرب خدعة، أي تنقضي بخدعة، والخداع أيضاً: الكثير الخداع. والخدعة من يخدعه الناس كثيراً⁽⁴⁾. والخداع اصطلاحاً: إنزال الغير عما هو بصدده بأمر

(1) مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني: ص: 560، والتعريفات، الجرجاني: ص: 326.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم: 37/2، والكليات، الكفوي: ص: 697.

(3) لسان العرب، ابن منظور: 52/11، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي: ص: 774.

(4) لسان العرب، ابن منظور: 28/5، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي: ص: 919.

بيديه على خلاف ما يخفيه⁽¹⁾. ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي. والصلة بين النصيحة والخديعة التضادُّ أيضاً.

خامساً: التعبير: وهو إظهار عيب مَنْ رَدَّ عليه، وتنقُّصه، وتبيين جهله وقصوره في العلم، وهو محرم سواء في وجه مَنْ رَدَّ عليه، أو في غيبته، وسواء كان في حياته، أو بعد مماته، وهذا داخل فيما ذمَّه الله تعالى في كتابه من الهمز واللمز، وتوعَّد عليه بالويل، في قوله تعالى: **وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** [الهمزة: 1]، وداخل أيضاً في حديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فنادى بصوت رفيع، قال: (يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يُفَضِّصِ الإيمان إلى قلبه؛ لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتَّبِعُوا عوراتهم، فإنه من يتَّبِعِ عورة أخيه المسلم، تتَّبِعِ الله عورته، ومن يتَّبِعِ الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)**⁽²⁾.

سادساً: التوبيخ: مصدر وبَّخ، يقال: وبَّخته توبيخاً؛ لمته، وعدلته، وأنتبته، وهذدته، وعنفته، وقال الفارابي: **عبرته**⁽³⁾.

والتوبيخ في الاصطلاح: التعبير واللوم والعدل. والفرق بين النصيحة والتوبيخ: الإسرار والإعلان، بمعنى أن النصيحة من شأنها الإسرار بها، وهي ما يؤمر به، والتوبيخ يكون علانية، وهو مما يُنهي عنه⁽⁴⁾.

(1) مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني: ص: 159.

(2) وقامه: قال: ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو الكعبة فقال: ما أعظمك، وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. قال الترمذي: حديث حسن غريب. سنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، رقم الحديث: 2101.

(3) لسان العرب، ابن منظور: 141/15، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي: ص: 662.

(4) الفرق بين النصيحة والتعبير، ابن رجب، بتصرف، والموسوعة الفقهية الكويتية: 324/40.

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ). قال أحمد: مِنْ ذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ⁽¹⁾. وعن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويتليك)⁽²⁾.

سابعاً: ألفاظ أخرى: هناك ألفاظ أخرى ذات صلة بمعنى النصيحة تقارباً وتضاداً نسبياً، فمن الألفاظ المتقاربة: التوجيه، والإرشاد، والتحذير، والتنبيه، والتبيين، والتوضيح، والتلميح، والتصريح، والهدى. أما الألفاظ المتضادة فمنها: الفضيحة، والتشهير، والزجر، والشماتة، وإشاعة الفاحشة، وهتك الستر، والطعن؛ بلمز، أو غمز، أو غيبة، أو نيمة، أو بهتان، وغيرها كثير.

الحكم التكليفي للنصيحة: ذهب العلماء في حكمها التكليفي مذهب، مفصّلين بين فرض العين والكفاية والنافلة، ومفرّقين بين النصيحة لله، والنصيحة للخلق؛ وقد عمّم الظاهرية في فرضية حكمها فقالوا: هي فرض عين على كل مسلم. قال ابن حزم: (النصيحة لكل مسلم فرض). وذهب ابن بطال إلى أنها فرض كفاية، فقال: (إن النصيحة تسمّى ديناً وإسلاماً، وإن الدين يقع على العمل كما يقع على القول. والنصيحة فرض يجزئ فيه مَنْ قام به، ويسقط عن الباقيين). وفرّق آخرون فيها؛ فقال محمد بن نصر المروزي رحمه الله: (وهي على وجهين: أحدهما فرض، والآخر نافلة، فالنصيحة المفترضة لله هي شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض، ومجانبة ما حرّم. وأما النصيحة التي هي نافلة فهي إثارة محبته على محبة نفسك، وذلك أن يعرض لها أمران: أحدهما لنفسه، والآخر لربه، فيبدأ بما كان لربه، ويؤخر ما كان لنفسه، فهذه جملة تفسير النصيحة لله الفرض منه، وكذلك النافلة). وهذا في حكم النصيحة لله تعالى، أما النصيحة للخلق فقد قال الخطابي رحمه

(1) قال أحمد: الظاهر أنه أحمد بن منيع وهو شيخ الترمذي، وقيل: أحمد بن حنبل. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. تحفة الأحمدي: كتاب صفة القيامة: 205/7، رقم الحديث: 2505.

(2) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم الحديث: 2506. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

الله: (والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يُقبل نصحه، ويُطاع أمره، وأُمن على نفسه المكروه، فإذا خشى على نفسه أذى فهو في سعة، والله أعلم⁽¹⁾).

ويمكن تفريع الحكم التكليفي للنصيحة بالنسبة إلى الخلق إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول: وهو الحكم التكليفي للنصيحة فرض كفاية، وهو الأصل العام في مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. قال النووي رحمه الله: ثم إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرض كفاية؛ إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقي، وإذا تركه الجميع أثمَّ مَنْ تَمَكَّنَّ منه بلا عذر ولا خوف⁽²⁾.

الأمر الثاني: وهو الحكم التكليفي للنصيحة فرض عين، ويكون في حالتين:

الحالة الأولى: إذا استنصحك أخوك المسلم؛ فهنا النصيحة حق له عليك، وواجب منك تجاهه شخصياً، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم: (وإذا استنصحك فانصح له)⁽³⁾. ومعنى استنصحك: أي طلب نصحك، فهنا يتعين على الناصح فرض تقديم النصح لطالب النصيحة.

الحالة الثانية: حال العلم بالمنكر ومعاينته، وسكوت الناس عنه، وهنا يتعين أيضاً فرض النصيحة شخصياً، متمثلاً في وجوب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حالاته الثلاث.

(1) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم: 37/2.

(2) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم: 37/2.

(3) وتام الحديث: عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حق المؤمن على المؤمن ست، قيل: ما هنَّ يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتَّبِعْهُ). صحيح مسلم: كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، رقم الحديث: 2162.

لحديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه، وذلك أضعف الإيمان)⁽¹⁾. فهو في حال استطاعته وتعيينه وسكوت الآخرين عنه تصبح النصيحة في حقه فرض عين، على التفصيل في كيفية النصح، ورتبة الأمر أو النهي، حسب موقعه الاجتماعي، وصلته بالمنصوح، ودرجة النصيحة.

الأدلة على النصيحة من القرآن الكريم:

أكثر ما استعمل القرآن لفظ (النصح) في حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم. فقد قال الله تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام في مجادلته لقومه: **أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [الأعراف: 62]**.

وبين في آيات أخرى ردّ نوح عليه السلام على حوار قومه، ورفضهم قبول النصيحة، فقال تعالى: **قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [هود: 33-34]**. كما قال تعالى مخبراً عن هود عليه السلام في حوار له لقومه: **أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ [الأعراف: 68]**.

وبين حقوق المؤمنين فيما بينهم من وجوب النصح والإصلاح، فقال تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الحجرات: 10]**.

وبين حال أصحاب الأعداء، وقبول عذرهم إن هم قاموا بواجب النصح لله ورسوله، فقال تعالى: **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التوبة: 91]**.

(1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجب، رقم الحديث: 49.

كما أخبر الحق سبحانه عما حدث من إهلاك لقوم صالح عليه السلام، وبَيَّن علة هذا الإهلاك في ردهم لنصيحته، وإعراضهم عنها، فقال تعالى: فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ [الأعراف: 79].

وأخبر أيضاً عما حدث من إهلاك لقوم شعيب عليه السلام لرفضهم النصيحة، ومدى حرصه على استجابتهم لها، فقال تعالى: فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ [الأعراف: 93].

وذكر القرآن الكريم النصيحة على لسان أخت موسى عليه السلام في شأن إرضاعه، فقال تعالى: وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ [القصص: 12].

وجاءت النصيحة في حوار إخوة يوسف عليه السلام مع أبيهم في قوله تعالى: قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ [يوسف: 11].

وذكرت النصيحة على لسان إبليس في إغوائه لآدم وزوجه للأكل من الشجرة، وقد أقسم لهما بالله تأكيداً لنصحته. قال تعالى: وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ [الأعراف: 21].

وأخبرنا عن نصيحة الرجل لنبى الله موسى عليه السلام في خروجه من مصر، حماية له من كيد الكائدين، فقال تعالى: وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ [القصص: 20].

ونعت القرآن الكريم التوبة بالنصح لصدقها، فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا [التحريم: 8].

الأدلة على النصيحة من السنة المطهرة:

عن تميم بن أوس الداري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم)⁽¹⁾.

(1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث: 55.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حق المؤمن على المؤمن ست، قيل: ما هنَّ يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلمَّ عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشممته، وإذا مرض فغُدّه، وإذا مات فاتَّبِعْهُ)⁽¹⁾. وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه)⁽²⁾.
وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً؛ يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تتأصحوا من ولأه الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)⁽³⁾. وبُوب البخاري في كتاب البيوع باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر؟ وهل يعينه أو ينصحه؟. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا استنصحت أحدكم أخاه فلينصحه له). ورخص فيه عطاء⁽⁴⁾.

(¹) صحيح مسلم: كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، رقم الحديث: 2162.

(²) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يجب لأخيه ما يجب لنفسه، رقم الحديث: 13، وفي رواية مسلم زيادة في الرواية: (أو قال لجاره). صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يجب لأخيه المسلم ما يجب لنفسه من الخير، رقم الحديث: 45.

(³) مسند أحمد: 487/2، رقم الحديث: 8820، وموطأ مالك: كتاب الكلام، باب ما جاء في إضاعة المال، رقم الحديث: 20، وصحيح ابن حبان: كتاب الزكاة، باب ذكر الأخبار عما يجب على المرء من مجانبة الإكثار من السؤال: 165/5، رقم الحديث: 3379.

(⁴) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر؟ وهل يعينه أو ينصحه؟ رقم الباب: 68.

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، والنصح لكل مسلم)⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني، قال: (لا تغضب)، فردّد مراراً، قال: (لا تغضب)⁽²⁾.

وفي الحديث القدسي عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: (أحب ما تعبّدني به عبدي إليّ النَّصح لي)⁽³⁾.

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة)⁽⁴⁾.

المبحث الأول: ويحدد ضوابط النصيحة وشروطها، ووسائلها وأساليبها، وآثارها وثمارها.

وذلك في المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: ضوابط النصيحة وشروطها، وفيه أمران:

(¹) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لبادٍ بغير أجر؟ وهل يعينه أو ينصحه؟ رقم الحديث: 2157، واللفظ له، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث: 56.

(²) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث: 5765.

(³) أخرجه أحمد في المسند: حاشية مسند الإمام أحمد للسندي: 140/13، رقم الحديث: 9471، وابن المبارك في الزهد: رقم: 204، وفي مجمع الزوائد: رواه عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد وكلاهما ضعيف: 87/1.

(⁴) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم الحديث: 142.

الأمر الأول: أن يكون للنصيحة أصل شرعي تستظل تحت لوائه، ولها مستندها الشرعي الذي ترجع إليه وتعتمد عليه، سواء كانت النصيحة طلباً لفعل أمر محمود، أو نهيًا عن أمر مذموم، وهنا فالنصيحة في كلتا الحالتين تستمد شرعيتها من مستندها الشرعي، وتأخذ حكمه طلباً أو منعاً، فعلى الناصح أن لا يكتفم نصيحته، لورود الأمر بها شرعاً، وعلى المنصوح قبولها، لأنها لسان الحق الموجه إلى الخلق فعلاً أو تركاً، وعليه؛ فلا ينصح بترك الصلاة والصيام لأنها أوامر شرعية، كما لا يُعتدُّ بالنصح في ترك الأوامر الشرعية، لمخالفته النصوص؛ كمن ينصح الرجل بلحق الحلية، أو ينصح المرأة بخلع الحجاب. قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ [الأنفال: 24]، وقال تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ [النحل: 116]، وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال: 27].

الأمر الثاني: أن يكون الأمر المنصوح به محل اتفاق عليه عند العلماء، لا خلاف بينهم فيه، وبالتالي فحين ينصح إنما ينصح على جهة التذكير والوعظ، لا على جهة الإنكار والمنع، كما لا ينصح في الأمور الفرعية والجزئيات التي لأهل العلم والفقهاء والاجتهاد فيها أقوال متباينة، خاصة إذا علم أن للمنصوح مذهباً يعتمد عليه فيما يخالف فيه مذهب الناصح؛ كأداء الصلاة ذات السبب في أوقات الكراهة، أو النهي عنها. والجمع بين الصلاتين، أو المنع منه. والتخيير في أداء كفارات الصيام والظهار والقتل بين الصيام والإطعام والتحرير، أو التزام الترتيب بينها. ودفع زكاة الفطر من غالب قوت أهل البلد، أو دفع قيمتها نقداً، وهكذا.. فلا يعدُّ الإنكار بين المختلف فيه ما بين مانع له ومبيح، إلا أن يكون طلب الفعل أو طلب الترك يؤدي إلى محذور بَيِّن؛ كمن يأمر بالنقاب في بلاد الغرب، أو ينهى عن مجاملة الجار الكافر في أحواله الاجتماعية. أو أن يكون محل الخلاف ضعيفاً لا يقوى على ترك النصح فيه؛ كمن ينصح في أمر التعامل بالربا في بلاد الغرب استناداً إلى قاعدة الضرورة. وعلى وجه العموم يُعَمَلُ في أمر النصيحة على مبدأ: نجتَمع على المتفق عليه؛ من الكليات والضروريات والقواعد العامة والأصوليات والأساسيات، ويعذر بعضنا بعضاً في الخلاف السائغ خلاف التنوع لا خلاف التضاد؛ من الجزئيات والفرعيات والمسائل الاجتهادية المختلف في أدلتها، أو

التي لا دليل عليها، فيُراعى عند النصح فيها أمر هذا الخلاف؛ فيعظ على مبدأ فعل المستحب، ولا يمنع على مبدأ ترك المخطور، ويدكّر على مبدأ المناصحة، ولا ينكر على مبدأ التحريم والتجريم.

المطلب الثاني: وسائل النصيحة وأساليبها، وفيه أمور خمسة:

الأمر الأول: السريّة فيها؛ فقد جُبلت النفوس على حب الذات، وغلب على كثير منها الأنفة والأنانية والاستعلاء، والناصح ناقد لسلوك خاطئ في المنصوح، قد لا يراه المنصوح، ولا يشعر به، أو أنه يراه ويكابر في الإهمال، فهو في الحالتين يحتاج إلى تذكير وتنبه، مع الحفاظ على المشاعر والخصوصية، وعدم النقد والتشهير فيما يُعدُّ من الخصوصيات الشخصية، والأمثل هنا هو السريّة في النصح، بلطف وخفّة وأريحيّة في تقديم النصيحة، ممزوجة بحُبّ وعناية في تحيّر العبارات، بعيداً عن سماع الناس الآخرين وبصرهم، مع انتقاء الألفاظ والإشارات، كي تقع النصيحة موقعها، وتؤتي أكلها. وهنا ننبّه إلى ما يقع به بعض الناصحين عن غير قصد، من إهمال لهذا الجانب الهام في النصيحة، حين يُقدّم على إشاعة النصيحة على الملأ، فيربك المنصوح ويخرجه، وربما أدت النصيحة إلى فضيخته والتشهير به، وهذا مخالف لأداب الشريعة وتوجيهاتها، ومن الحكمة في فن التعامل مع الآخرين أن نستعين على قضاء حوائجنا معهم بالكتمان. وأن نلتمس لإخواننا الحجج والأعذار. قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى⁽¹⁾:

وجنبني النصيحة في الجماعة

تعمدني بنصحك في انفرادي

من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن النصح بين الناس نوعٌ

فلا تعجز إذا لم تُعط طاعة

وإن خالفتني وعصيت قولي

(1) الموسوعة الشعرية.

الأمر الثاني: تتبّع منهج الحكمة والموعظة الحسنة في بذل النصيحة؛ يقول تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [النحل: 125]. وهنا يتخير المكان والزمان والوسيلة والمناسبة والطريقة والأسلوب الملائم بحكمة وروية، فلا يعمم الطريقة، ولا يخاطب كبير القوم بما يخاطب به دونه، ولا ينصح طالب العلم بما ينصح به العامي، ويختلف لسان النصيح للثقي عنه في الشقي، ويتبدل خطاب النصيح فيمن تربطك به صلة ودّ أو قرين عنه فيمن لا تعرفه أبداً، وتجهل أمره مطلقاً، وهكذا. فلكل حال مقال، ولكل قوم مقام. والناصح الناجح من يدرس شخصية المنصوح حقاً، ويطلع على كوامنها، فيتخير له من وسائل العلاج ما يلائمه، شأنه شأن الطبيب الذي يشخص العلة بدقة، ليحدد جرعة الدواء المناسب، وإلا كان سبباً في هلاك مريضه.

الأمر الثالث: انتقاء الأسلوب الأمثل في الطرح والعرض؛ وهنا يتعين على الناصح دراسة نفسية المنصوح وطبيعته، وتحديد الأسلوب الذي يمكن التأثير به عليه، إذ طباع النفوس مختلفة، والأمزجة متباينة؛ والعاقل الحكيم من يتقن توجيه الرسالة لمرسلها بتوفيق ونجاح، بحيث تحقق هدفها، وتقع موقعها المناسب. فهناك من يستجيب لنداء العقل والمنطق عن طريق الحوار والمناقشة، وهناك من تغلبه المشاعر العاطفية، وهناك من تؤثر فيه استثارة النخوة والشهامة فيه، وهناك من تُخجله الكلمة الطيبة، وتُخرجه النظرة الحانية، وهكذا. وقد أمرنا الإسلام بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، وإنزالهم منازلهم. عن ميمون بن أبي شبيب، أن عائشة رضي الله عنها مرّ بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدهته فأكل، فقيل لها في ذلك فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنزلوا الناس منازلهم)⁽¹⁾.

الأمر الرابع: التلميح دون التصريح؛ ذلك أن النفوس تأبى النصيحة وتستتفلها إلا من رحم ربي منها، والإشارة باليد، أو التصريح بالقول، أو التعيين بالفعل جهاراً خفياً، فيه ما فيه من ردة الفعل المرفوضة، والانتكاسة المتوقعة للمنصوح كالمقلب على عقبيه، وهذا ملحوظ في ميدان النصيحة، أما

(1) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب تنزيل الناس منازلهم، رقم الحديث: 4842. قال أبو داود: وحديث يحيى مختصر. قال أبو داود: ميمون لم يدرك عائشة.

التلميح، والتعريض، والتنبيه بالتعميم دون التعيين، فهو من الوسائل الناجعة في النصيحة، فقد كان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يعمّم الملاحظة، ولا يحدد المستهدف منها، ويصوّب الخطأ، ولا يعيّن فاعله، فيقول: (ما بال أقوام يفعلون كذا، أو يقولون كذا)⁽¹⁾.

الأمر الخامس: الكلمة الطيبة والابتسامه واللين والرفق بالمنصوح، وهذه أخلاق زكية تضاف إلى أسلوب تقدم النصيحة، رغبة في تقبلها، وأملاً في الاستجابة لها، فالناصح طارق لقلوب مقفلة، وناشد لعقول مغفلة، وناقد لسلوك خاطئ، ومقوم لاجوج امرئ صلب عودّه على الخطأ، فلا يجدي مع عوامل الإغلاق هذه سوى كمال الأخلاق الطيبة ورفيعها؛ من طيب الكلمة، ولطف الابتسامه، ولين الجانب، ورفق وحنو، كي يفتح القلوب المقفلة، وينير العقول الغافلة، ويصحح السلوك الخاطئ، ويقوم انحرف التائه فيردّه إلى الجادة. ويأتي الرفق ليتّوج وسائل الإصلاح هذه كميّار رشيد للتقوم، ويؤكد هذا المعنى حديث الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي روته السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها، إذ يقول: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه. ولا ينزع من شيء إلا شانه)⁽²⁾.

المطلب الثالث: آثار النصيحة وثمارها، وفيه أمور أربعة:

الأمر الأول: تحصيل الأجر والثواب. فالذي ينصح إنما يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من أجلّ الطاعات، وأعظم القربات، والذي يستجيب للنصيحة إنما يؤدي عبادة، حين ياتمّ بالمعروف، أو ينتهي عن المنكر، والمنصوح هنا في استجابته للأمر والتزامه بالنهي، لا شك أنه يتقرب إلى الله تعالى بهذه الاستجابة والالتزام، وهو في هذا التقرب إلى الله تعالى ينال الأجر

(1) أمثلة هذا كثيرة جداً في السنّة المطهّرة ومنها: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه، فتنزّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فخطب فحمد الله ثم قال: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدّهم له خشية). صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم الحديث: 5750.

(2) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: 2594.

والثواب. كما ينال الأجر والثواب كلُّ مَنْ علَّمه، أو أرشده، أو هداه، أو نصحه. وفي حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)⁽¹⁾.

الأمر الثاني: تصحيح الخطأ وتقوم الاعوجاج. وهذا أثر عظيم، وثمره طيبة للنصيحة، فقد تغيب عن المسلم ملاحظته لنفسه، فيقع في أمور لا يحسُّ بها، ولا يشعر بنقصها، وقد ينشغل عن عيوب نفسه فلا يدركها، فيأتي أثر النصيحة، وتحقق ثمرتها؛ حيث أن الناصح كالمراة الناصعة في وجه المنصوح، يرى فيه نقصه فيتلافاه، ويتنبه إلى الخلل الواقع فيسده، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن: يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه)⁽²⁾.

الأمر الثالث: توطيد العلاقات الاجتماعية؛ من زيادة الألفة، وإشاعة الثقة بين أفراد الأمة، وتحقيق الحبة بين الناس، فالجتماع الذي تسوده هذه المعاني الفاضلة هو مجتمع مثالي، يشعر الفرد فيه بحسن الانتماء إليه، ويعتز بأخوة أفراده في حسن صلتهم به؛ حباً له، وشفقة نحوه، وإحساناً إليه، وغيره عليه. وهكذا تتحقق أخوة الدين بكل معانيها واستحقاقاتها؛ من واجب نصره الحق الذي يجمع بين أفرادها، وحق إصلاح ذات البين التي تتلاقى القلوب تحت ظلها، والتي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** [الحجرات: 10]، كما بينتها السنة النبوية أيضاً؛ فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم الحديث: 1017.

(2) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في النصيحة والحيطة للمسلم، رقم الحديث: 4918، ونصيحة الملوك، الماوردي. ص: 43.

قال: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)⁽¹⁾.

الأمر الرابع: تحقيق الأمان والطمأنينة والراحة النفسية. فالمسلم إنما يحيا في ظل جو أحوي يستظل تحت لوائه، وبيئة إيمانية مفعمة بمعاني الحب والود واللثام والتفاني والولاء. وهذه المعاني الفاضلة حين تتحقق على أرض الواقع، وتترجم إلى سلوك عملي يلمسه الأفراد واقعاً محسوساً في حياتهم، إنما تحقق أمناً وطمأنينة، وسعادة وروحانية، نابعة من المعاني الإيمانية، والأجواء الروحية، التي تحملها النفوس المؤمنة، والقلوب الطاهرة، وفاقد هذه المعاني إنما يحيا الضنك والشقاء، ويتحسّس التعاسة والجفاء، لبعده عن المنهج الرباني الذي أَراده الله تعالى لخلقه. دليل ذلك قول الحق تعالى: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى [طه: 124].

المبحث الثاني: ويتصّى آداب النصيحة؛ وذلك من خلال المطالب الأربعة التالية:

المطلب الأول: الأمور التي تجب مراعاتها في الناصح، وهي عديدة، وأهمها الأمور السبعة

التالية:

الأمر الأول: الإخلاص لله تعالى، وتحرير القصد والنية لوجه الله سبحانه: وهذا أهم ما ينبغي تحريه في سائر أحوال العبد في تعامله مع أوامر الله تعالى، إذ الإخلاص شرط أساس لقبول العبادة، قال تعالى: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَامَةِ [البينة: 5]. وقال تعالى: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ [الزمر: 11]، وأي عمل خرج عن هذه الخصوصية حبط وباء بالخسران. وهذا ما يلزم التحقق فيه، والتذكير به، والتنبيه إليه، والحض عليه.

الأمر الثاني: أن يكون على علم كبير كثير بما ينصح، وعلى عمل بذلك؛ ويقصد بالعلم هنا: العلم بالشريعة؛ وهو العلم العام المتضمن لأحوال الناس، وعلم الزمان وعلم المكان، وعلم الترجيح إذا تقابلت الأمور، فيفعل بحسب الأرجح عنده، وهذا يسمى علم السياسة، فإنه يسوس بذلك النفوس الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها، فلذلك قالوا: يحتاج الناصح إلى علم، وعقل،

(1) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث: 5665.

وفكر صحيح، ورؤية حسنة، واعتدال مزاج، وتؤدة، وتأن، فإن لم تُجمع هذه الخصال فخطؤه أسرع من إصابته، فلا يشير ولا ينصح⁽¹⁾. قال تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [يوسف: 108].

الأمر الثالث: أن يتحقق بشعار القدوة الصالحة، والنموذج الحسن في تقديم النصيحة للآخرين: فلا يليق به أن ينصح غيره، وينهاه عما يرتكبه من أخطاء، والناصح ذاته مقترف لها، متلبس فيها، كمن يأمر غيره بالصلاة، وهو متقاعس عنها، أو ينهاه عن التدخين، وهو مدمن له، وهنا لا يخفى ما لهذه الظاهرة من أثر سلبي في تقبل النصيحة وردّها، والله درُّ أبي الأسود الدؤلي حين قال⁽²⁾:

لا تنه عن خُلق وتأتي مثله
عازٌ عليك إذا فعلت عظيم

فابدأ بنفسك فانتهها عن غيرها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُقبل إن وعظت ويقتدي
بالقول منك وينفع التعليم

والأنبياء عليهم السلام في منهجهم الدعوي خير قدوة صالحة للأمم، وقد أمرنا المولى بالافتداء بهم. قال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا دِكْرِي لِلْعَالَمِينَ [الأنعام: 90].

الأمر الرابع: اختيار الوقت المناسب، وهيئة الجو الملائم لطرح النصيحة: وهذا من توفيق الله تعالى للناصح، فلا يليق به طرح النصيحة في جو غير مناسب للمنصوح، دون مراعاة للظرف والواقع والمناسبة، فقد يكون المنصوح متوتراً في نفسه، مضطرباً في وضعه، تحيط به أحوال اجتماعية

(1) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: 268/6.

(2) الموسوعة الشعرية.

صعبة، أو ظروف مالية قاهرة، وهنا ينبغي أن يراعي حاله، ويسعى للتهوين عليه، والتخفيف عنه، وقد يكون في حشد من الحضور، فينبغي أن يراعي الظرف، فلا يقصد التشهير به، وقد يصادف بدل النصيحة، والحال أن المنصوح متلبس في الخطأ، فينبغي أن يلحظ الواقع، ويتصرف بحكمة في التصويب، وهذا ملحظ هام وخطير قلَّ مَنْ يوفَّق للنجاح فيه، دون توابع سلبية، أو ذبول غير مُرضية، وقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه يتحَيَّن المناسبة للنصح مخافة السامة. فعن شقيق قال: (كنا ننتظر عبد الله إذ جاء يزيد بن معاوية، فقلنا: ألا تجلس؟ قال: لا، ولكن أدخل فأخرج إليكم صاحبكم، وإلا جئت أنا فجلست، فخرج عبد الله وهو آخذ بيده، فقام علينا فقال: أما إني أخبر بمكانكم، ولكنه يعني من الخروج إليكم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخوَّننا بالموعظة في الأيام، كراهية السامة علينا)⁽¹⁾.

الأمر الخامس: التحلي بالصبر والحلم والأناة والحياء: وعدم اليأس من إعراض المنصوح، أو الإحباط في حال رده للنصيحة، ورفضه لقبولها، إذ على الناصح أن يتوقع رفض النصيحة، والرد العنيف من المنصوح. قال تعالى: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى [طه: 132]، وهذا ما يدعو الناصح إلى التفنن في أسلوب الطرح بروح إيجابية متفائلة، والتلطف في تحيُّر الألفاظ، واستخدام التعبيرات المناسبة للنصيحة، وإظهار التودد والرفق والحب للمنصوح، والشفقة عليه، كسباً لوده، وأملاً في استجابته للنصيحة، وقبوله لها.

الأمر السادس: عدم الإلزام في قبول النصيحة: والمقصود بـ (عدم الإلزام) أي: النصح على جهة التذكير والترغيب والترهيب، بعيداً عن القسر والإجبار والحمل على قبول النصيحة بأسلوب منقّر، وقد حذر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من هذا بقوله: (يا أيها الناس إن منكم منقّرين)⁽²⁾.

(¹) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، رقم الحديث: 6048.

(²) وتام الحديث: عن أبي مسعود الأنصاري رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غضب في موعظة قطُّ أشدَّ مما غضب يومئذ، فقال: (يا أيها الناس إن منكم منقّرين).

وأنبه هنا إلى ما يقع به بعض الناصحين من إغلاق الدائرة، وتضييقها في وجه المنصوح، فيبدو وكأنه أغلق عليه الطرق، وسدّ المنافذ، وأوصد الأبواب أمام أي أمل أو فرج، سوى قبول النصيحة والعمل بها، وعواقب هذا المسلك غير مجدية، إذ الإلزام والإكراه مخالف لفطرة الدين، معارض لأصوله، قال تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْعَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [البقرة: 256]، والنصيحة هي الدين، والدين النصيحة، وبالتالي فلا يصلح الإلزام بها، ولا الإكراه عليها، ولا حمل الناس عليها قسراً وإجبارة، إنما تجدي النصيحة من خلال آلية طرحها، ومنهجية عرضها، وفلاح الناصح ونجاحه في مدى تأثيره الساذج الطيب على المنصوح. ولا تعارض بين هذا وما يتمتع به ولي الأمر من حق شرعي في إلزام الرعية بما يراه مناسباً بحكم إمامته العظمى التي منحه الله إياها، مقيدة بطاعة الله ورسوله، غير مطلقة ولا متجاوزة لها. لقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء: 59]. وعليه فالإلزام ولي الأمر بالنصيحة هنا، إنما يعني الإلزام بفعل أمرٍ واجب أمر الشرع بفعله، أو حظر فعلٍ محرّمٍ أكد الشرع اجتنابه.

الأمر السابع: الأمانة في تبليغ النصيحة: وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في وصف نصيحة هود عليه السلام في تبليغ نصيحته لقومه، فقال تعالى: أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ [الأعراف: 68]. وتقتضي الأمانة هنا صدق تبليغها، وعدم الخيانة في أدائها. قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال: 27]. وعن أبي هريرة

فأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فليُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وِرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَّةِ). صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، رقم الحديث: 713.

رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)⁽¹⁾.

المطلب الثاني: ما تجب مراعاته في المنصوح، وفيه الأمور الثلاثة التالية:

الأمر الأول: التواضع في سماع النصيحة، وعدم التكبر عن سماعها، فهي لا تعدو أن تكون كلمة خير؛ من أمر بمعروف، أو نهي عن منكر. وبالتالي فالمنصوح مهما علا شأنه، وارتفع قدره، يبقى محتاجاً لسماع كلمة الخير، لا يستغني عنها، ولا يستعلي على النصيحة، ولا يستعديها، وهي لا تعدو أن تكون حكمة وموعظة حسنة، لا أكثر، ولطالما نفعه أخذها والتقاطها.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها)⁽²⁾.

الأمر الثاني: عدم الإعجاب بالنفس والرأي، والبعد عن الاعتزاز بالذات، وعدم رفض النصيحة، مهما قلّ شأنها، فالأصل أن الناصح أمين مخلص، محتسب للأجر والثواب، محبّ غيور، وبالتالي فلا بدّ أن يقابل صاحب هذه الصفات بالقبول والتقدير، لا أن يُعَارِض وينكر عليه، بتكبر وغرور واستعلاء، وتُردّ النصيحة على صاحبها بسلبية ورفض وإنكار.

(1) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. سنن الترمذي: أبواب البيوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 1282، وعند الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرک، الحاكم: كتاب البيوع، رقم الحديث: 2296.

(2) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المخزومي ضعيف في الحديث. سنن الترمذي: كتاب أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث: 2808، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الحكمة، رقم الحديث: 4619.

الأمر الثالث: الاستماع إلى النصيحة والإصغاء إلى قائلها، وشكره عليها، والدعاء له بالخير والإحسان، والاستجابة إليها، والعمل بما، طالما تجرد الناصح عن حظ النفس، وكان مخلصاً في نصحه، غيوراً على المنصوح، حكيماً في طرحه، فلا بدّ للمنصوح من تقدير النصيحة، وتقبُّلها، وكان عمر رضى الله عنه يقول: (رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي)⁽¹⁾. فالناصح متبرع بفعل الخير، محسن في جهده وسعيه، مأجور في قوله وفعله، والله تعالى يقول: لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [النساء: 114]. فلا بدّ أن يُقابَل بالاحترام والثناء والتقدير بعبارات طيبة، كقوله: أحسنت، أشكرك، والدعاء له بقوله: بارك الله فيك، جزاك الله الخير.

المطلب الثالث: الأمور التي تجب مراعاتها في النصيحة، وهي عديدة، وأهمها ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إبراز الإيجابيات والتركيز عليها، في أسلوب حكيم للوصول إلى نقد السلبيات والإشارة إليها، بحكمة وروية، وهو أسلوب موفق في نجاح النصيحة، رغبة في التنبيه على الخطأ لتجاوزه وإزالته. وقد كان من جملة وصاياه صلى الله عليه وسلم في بيان حق الأخوة، أن يبرز المحاسن، ويعلي من شأنها وقدرها، كسباً لودّ فاعلها. كما هو الشأن في وصيته بأمر الأنصار في قوله صلى الله عليه وسلم: (فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم)⁽²⁾.

(¹) سنن الدارمي: مجموعة أبواب في المقدمة، باب في رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي، رقم: 649.

(²) وتام الحديث: عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: مرّ أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبيكون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشى وعييتي، وقد قضاوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم). صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم، رقم الحديث: 3588.

الأمر الثاني: التلطف والرفق والأدب في تقديم النصيحة؛ ذلك لأنها أمر حساس خطير، قد يؤدي عكس هدفه إذا لم يُحسّن توظيفه بشكل صحيح، فكل شيء يتجاوز حدّه انقلب إلى ضده، ويتفاوت الناس في مستوى القبول والرفض والتذكير، فلا بدّ من التلطف في إسدائها، واللين في قولها، قال تعالى في أمر موسى وهارون وفرعون: *اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ [طه: 43_44]*، وهنا نتذكر حادثة الحسن وأخيه زين العابدين في ملاحظتهما وضوء الرجل المسنّن، وتقويم أخطائه، ونصحهم الصائب له، حين احتكما إليه ليقومهما، وإذا به يقرّ بخطئه، متعلّماً منهما ما رآه من المثالية في فعليهما.

الأمر الثالث: البعد عن الجدل العقيم، والخصام الجافي، والغلظة في طريقة النقاش، والتجافي في أسلوب الخطاب، إذ يعدّ ذلك من العقبات المنعّصة في طريق قبول النصيحة، والمنتبّطات المحبّطة لمحاولات التواصل والحوار البناء في سبيل التناصح والإرشاد. قال الله تعالى: *ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [النحل: 125]*.

المطلب الرابع: منهج الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم في النصيحة:

إذا تبّعنا النصوص القرآنية في تحديد هذا المنهج الرشيد، وأصغينا إلى القصص القرآني نستلهم العبر والعظات فيه، ألفينا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً قد سنّوا منهجاً مميّزاً لأقوامهم في مبدأ النصيحة، تمثلوه في دعواتهم لأقوامهم، وطبقوه عملياً في حوارهم مع أتباعهم. فالنصيحة ركن أساس في الدعوة إلى الله تعالى، وهي بضوابطها وشروطها وأساليبها ووسائلها المحرك الأساس للدعوة، والفاعل النشط في التبليغ والتأثير، وهي صلب الدعوة وحجرها الأساس، لا يملك أحد أن يتخلى عنها، أو أن يعرض عن منهجها. فهي السلاح الآمن لكل داعية، والحجة الدامغة لكل واعظ، والدليل المقنع لكل رائد، إن هو تمثل بضوابطها وشروطها، واستعمل الحكمة في توجيهها وتبليغها، واستغل الظروف والمناسبة لإرسالها وتفعيلها. وهذا ما نلمسه في مواقف الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، وخطابهم الدعوي لهم:

فقد قال الله تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام في مجادلته قومه: *أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [الأعراف: 62]*، وقال تعالى مخبراً عن هود عليه السلام في حوار

لقومه: **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ [الأعراف: 68]**، وقال تعالى في قصة قوم صالح عليه السلام بعد إهلاكهم ورفضهم لنصيحته بعد سماعها: **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ [الأعراف: 79]**، وقال تعالى في قوم شعيب عليه السلام بعد إهلاكهم، وقد نصحهم نبيهم: **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ [الأعراف: 93]**، وبَيَّنَّ رَدَّ نوح عليه السلام على حوار قومه، ورفضهم قبول النصيحة، فقال تعالى: **وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [هود: 34]**.

وتتالت الروايات عنه صلى الله عليه وسلم في دعوته لقومه في مكة، وهو يقدم النصيحة بشفقة ورحمة، يضرب لهم الأمثال، ويضعهم أمام مسؤولياتهم في قبول الدعوة وتحملها، أو رفضها، فيناديهم: يا بني فلان، يا بني فلان، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء: 214]**، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطن قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مُّصَدِّقِي؟). قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقاً، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). فقال أبو لهب: **تَبَّأَ لَكَ سَائِرِ الْيَوْمِ، أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا؟**، فنزلت: **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ [التهنئة: 1-2]**⁽¹⁾.

المبحث الثالث: ويتقصد مقاصد مستهدفة في مجالات النصيحة، ويعدُّ حديث تميم بن أوس الداري رضي الله عنه في موضوع النصيحة ركناً أساساً في الموضوع، كما يعدُّ شرح الإمام النووي رحمه الله تعالى لهذا الحديث في صحيح مسلم من أنفس ما كُتِبَ في هذا المقام، ومن أجمع ما تناول عرضاً وتحليلاً، وقد آثرت نقله بأمانة، ضمن مطالب خمسة متتالية:

(1) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، رقم الحديث: 4492.

نص الحديث الشريف: عن تميم بن أوس الداري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم)⁽¹⁾.

المطلب الأول: معنى النصيحة لله تعالى. قال النووي رحمه الله: أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به، ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه، والبغض فيه، وموالاته من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته، وشكره عليها، والإخلاص في جميع الأمور، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحث عليها، والتلطف في جميع الناس، أو من أمكن منهم علمها. قال الخطابي رحمه الله: وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه، فالله تعالى غني عن نصح الناصح.

المطلب الثاني: معنى النصيحة لكتاب الله تعالى. قال النووي رحمه الله: وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى، فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه، وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عن تأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومته وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه، وإلى ما ذكرنا من نصيحته.

المطلب الثالث: معنى النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال النووي رحمه الله: وأما النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهييه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاته من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته، ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستشارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمسك عن

(1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث: 55.

الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه، ونحو ذلك.

المطلب الرابع: المسؤولية الشرعية لدى ولاية الأمور في توجيههم للنصيحة، ومدى

تحملهم لها. قال النووي رحمه الله: وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

قال الخطابي رحمه الله: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يُغَرَّوا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم، ممن يقوم بأمر المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور.

وحكاية الخطابي أيضاً، ثم قال: وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين، وأن

من نصيحتهم قبول ما رووه، وتقليدهم في الأحكام، وإحسان الظن بهم.

المطلب الخامس: المسؤولية الشرعية لدى العامة في توجيههم للنصيحة، ومدى

تحملهم لها. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وأما نصيحة عامة المسلمين، — وهم من عدا ولاية الأمر — فأرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يجب لهم ما يجب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم، بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة، وتنشيط همهم إلى الطاعات⁽¹⁾.

(1) شرح النووي على صحيح مسلم: 37/2.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة.

أولاً: النتائج المستفادة:

1. تبدى للباحث من خلال البحث أهمية مبدأ النصيحة كموجّه ديني، ومرشد تربوي، ورائد اجتماعي، وقائد أخلاقي، لمعالجة كثير من الأخطاء الشائعة في المجتمع المسلم، نتيجة جهل في أحكام الدين، وغفلة عن تعاليم الإسلام، ويُعد عن آداب الشريعة، وفهم خاطئ لحقيقة الشرع الحكيم.

2. تمثل النصيحة حجر أساس، وركيزة هامة في مبدأ سد الذرائع كأحد المصادر التبعية للتشريع، بما تدعو إليه من أهداف عظيمة، وبما تحقّقه من غايات رشيدة، في بناء المجتمع على الفضائل الأخلاقية، والتعاون الأخوي، الداعي إلى نشر المحبة والوئام بين أفراد المجتمع المسلم.

3. توصل الباحث إلى أن النصيحة باب عظيم من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تتناوبه الأحكام الشرعية التكليفية؛ ما بين فرض العين وفرض الكفاية والنافلة، وذلك بالنظر إلى رتبة المنصوح، وكيفية النصح، ورتبة الأمر أو النهي، واعتبار الموقع الاجتماعي للناصح، وصلته بالمنصوح، ودرجة النصيحة.

4. ركّز الباحث على ضرورة التقيد بضوابط النصيحة وشروطها، والتمثل بوسائلها وأساليبها، والالتزام بأداء أحكامها التكليفية، وآدابها الشرعية، تحقيقاً لثمارها المرجوة، وآثارها المنشودة.

ثانياً: التوصيات المقترحة:

1. تشجيع وتنشيط وتفعيل ظاهرة (مكاتب المناصحة) والمشتهرة في بعض البلاد الإسلامية، وتعميم هذه الظاهرة الاجتماعية الناجحة على سائر المجتمعات الإسلامية، من خلال ما حققه مبدأ النصيحة فيها من نتائج إيجابية، للحد من جنوح الشباب نحو المغالاة والتطرف، وعلاج هذه الظواهر السلبية في المجتمعات بحكمة العقلاء وحنكة الخبراء. بحيث يتولى الإشراف عليها متخصصون في الإرشاد الديني والنفسي والاجتماعي، وتُرود بكافة التسهيلات المرغوبة للتواصل الاجتماعي مع سائر أطراف المجتمع.

2. استغلال وسائل الإعلام بأطيافها المتنوعة؛ المسموعة والمقروءة والمرئية، وخاصة القنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية، في تعزيز مفهوم النصيحة، وتذليل تقبلها لدى مختلف الشرائح في المجتمع، وبيان أهميتها وفضلها، وعرض المبادرات الناجحة في طرح النصيحة، وتقديمها إلى الآخرين، كنماذج تحتذى.
3. الدعوة إلى عقد مؤتمرات دينية، وإقامة ندوات دعوية، وتنفيذ محاضرات توعوية، واستهداف العنصر الشبابي فيها على وجه الخصوص، وتناول المواضيع الحساسة التي تلامس وجودهم الديني، وانتماءهم العقدي، بما يصرِّهم بأحكام الشرع، ويوقفهم على التزام هدي الدين، وتمسُّكهم بأصوله الثابتة في الكتاب الكريم والسنة النبوية؛ نصحاً ووعظاً، ووصية وإرشاداً، وأمرًا بمعروف، ونهيًا عن منكر.

هذا وبالله التوفيق وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر

- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تقديم وضبط كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى: 1407هـ-1987م.
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، ط/ثانية: 1399هـ-1979م.
- حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي، تحقيق نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط/أولى: 1428هـ-2008م.
- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ضمن سلسلة الكتب الستة، تحقيق إبراهيم عطوة، طبع دار الدعوة، إستانبول _ تركيا: 1401هـ-1981م.

سنن الدارمي، الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فواز زميلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/أولى: 1407هـ-1987م.

صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت: 1424هـ-2004م.

صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت، ط/ثانية: 1392هـ-1972م.

صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى: 1421هـ-2001م.

الفرق بين النصيحة والتعبير، الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث، دمشق، ط/ثالثة: 1405هـ.

فيض القدير، شرح الجامع الصغير للسيوطي، محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط/أولى: 1356هـ-1938م.

القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ثانية: 1407هـ-1987م.

كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/أولى: 1405هـ-1985م.

كتاب الزهد، ويليه كتاب الرقائق، شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية.

الكليات؛ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق د/عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ثانية: 1419هـ-1998م.

لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط/سادسة: 2008م.

مجمع الزوائد، الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ثانية: 1967م.

مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت: 1982م.

مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، ومعالم السنن لأبي سليمان الخطابي، تحقيق أحمد محمد شاكر،
ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت: 1400هـ-1980م.

المستدرك على الصحيحين، الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي،
مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، محمد أمين دمج، بيروت.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، ترقيم محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت،
ط/أولى: 1413هـ-1993م.

مفردات ألفاظ القرآن، العلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا،
بيروت: 1430هـ-2009م.

الموسوعة الشرعية، الشعر ديوان العرب، المجمع الثقافي، أبو ظبي: 2003م.
الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، دار إحياء التراث العربي، بيروت:
ط/ثالثة: 1419هـ-1998م.

الموطأ، الإمام مالك بن أنس، شرح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة: 2005م.
نصيحة الملوك، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح،
الكويت، ط/أولى: 1403هـ-1983م.

النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، تحقيق د/عبد الحميد
هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط/أولى: 1426هـ-2005م.

